المحاصرة رقم 6 و7

1- أهمية المصادر الغربية في كتابة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

تكمن أهمية المصادر الغربية في المعطيات والمادة الخبرية التي تحملها، ولا بد من العودة إليها في كتابة التاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ولأنهم عرفوا المنطقة وكتبوا عنها الكثير في النقاط التي لم يكتب عنها المؤرخون المحليون. لكن رغم أهميتها إلا أن لها حدود لا يمكن تجاوزها خاصة تلك النظرة والأحكام الخاطئة والتفسيرات المختلفة التي تغلب عليها الذاتية.

في ظل قلة المصادر المحلية في تاريخ الجزائر الحديث، تبق المصادر الغربية الملجأ الأساسي للباحث في تاريخ الجزائر الحديث نظرا لتنوعها وتشعبها وتعددها، امتازت الكتابات التاريخية خلال القرنيين السادس عشر والسابع عشر بالصراع بين الإسلام والمسيحية وبروز الجزائر كقوة بحرية سيطرت على البحر المتوسط، ولذلك حملت هذه الكتابات خلال هذه الفترة فكرة التعصب ضد الإسلام والمسلمين. اشتهرت خلال هذه الفترة كتابات الآباء البيض الذين أتوا إلى الجزائر من أجل افتداء الأسرى المسحيين، كما تعددت كتابات ومذكرات الأسرى المسحيين الذين كتبوا عن ظروف أسرهم، ومعاناتهم في الأسرى، كما نجد معلومات أخرى عن حكومة الجزائر، والموظفين، والحكام والمؤسسات الدولة الجزائرية، وأيضا وصفا دقيقا عن مدينة الجزائر والبنايات العمرانية وغيرها من المعطيات، نذكر أيضا كتابات التجار الأوروبيين حيث كانت الجزائر مقصدا لهم من أجل المتاجرة بسلع الغنائم البحرية. رغم الأحكام الخاطئة التي أطلقوها على طبيعة نظام الحكم العثماني في الجزائر، حيث كانت تحمل عداء شديد للجزائر إلا أنها تبقى مصدرا هاما في كتابة تاريخ الجزائر الحديث.

ومن بين هذه الكتابات نذكر:

أشهر هذه الأعمال كتاب فراي دييقو دي هايدو(Diego De Haedo)، هو قس اسباني أمضى عدة سنوات في الجزائر في فترة من 1578 إلى 1581م، يرى البعض أنه وقع في الأسر ويؤكد البعض الآخر أنه جاء إلى الجزائر في اطار مهمة افتداء الأسرى. عنوان الكتاب طبوغرافيا الجزائر وتاريخها(Topografie et histoire générale d'Alger) شمل هذا الكتاب خمس محاول: الأول حوا طوبوغرافية مدينة الجزائر، والثاني حكام الجزائر والثالث الأسرى، والرابع الشهداء، والخامس

المرابطين. نشر لأول مرة سنة 1612، لقد تحدث عن الحياة الاجتماعية وعادات الجزائريين، وللباس والمأكل وغيرها.

اعتمد هايدو في كتابه على الشهادات الحية التي سجلها من أفواه بعض الأسرى، كما اعتمد على المصادر التاريخية المعروفة مثل وصف افريقيا لحسن الوزان

ومذكرات توماس سميث، تاجر انجليزي أشر من طرف الجزائريين، أعطى وصف دقيق لمملكة الجزائر حسب تعبيره، وطريقة أسره في جويلية 1648، حيث نجد وصفا للسجون وأعمال البناء، وطريقة الفدية.

خلال القرنيين الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، نجد نوعا آخر من المصادر تمثلت في مذكرات وتقارير القناصل الأوروبيين في الجزائر، وكتب الرحالة الأوروبيين الذين جاؤوا إلى الجزائر بهدف الاكتشاف أو التجسس، إلى جانب الباحثين والمغامرين، والعلماء النبات والطبيعة. يرى بعض الباحثين أن الكتابات خلال هذه الفترة ابتعدت عن الذاتية، وترك الأفكار المسبقة والعصبية الدينية. ومن بين هذه الكتابات نذكر:

الدكتور شو(D.Shaw) الانجليزي كاهنا بالوكالة الانجليزية في الجزائر من عام 1720 إلى 1732م، قدم تفاصيل دقيقة عن الجزائر وخاصة ريفها ومناخها وآدابها العربية، وأخبارا عن الحياة السياسية والإدارية، وحدودها ومعالمها الجغرافية، في كتاب سماه رحلات في شمال افريقيا وفي المشرق (voyage dans la Régence d'Alger) نشر سنة 1738

وجان أندري بايسونال(Jean–Andre Peyssonnel) الذي زار الشرق الجزائر بتكليف من أكاديمية العلوم ما بين 1724–1725، قدم عملا هاما عن الجزائر تضمن معلومات جغرافية وطبيعية واجتماعية، حمل عنوان سفريات في مناطق تونس والجزائر(VOYAGES DANS LES REGENCES TUNIS ET ALGER) صدر بباريس سنة 1838، وأعيد نشره سنة 2001.

فنتور دي برادي(Venture de Paradis) كان قنصلا بالجزائر مابين 1788–1790، كتب تقرير حول الجزائر نظام حكمها ومؤسساتها، فنجد تفاصيل حول الإدارة الجزائرية وأجهزتها العسكرية، ومعلومات عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في كل من إيالتي تونس والجزائر. حمل الكتاب عنوان تونس والجزائر في القرن 18" حقق ونشر بباريس عام 1983.

ويليام شالر قنصل عام للولايات المتحدة في الجزائر 1816–1824، كتب مذكراته عن الجزائر 1826، شملت تفاصيل عن الجزائر نظام الحكم والسكان، والدين واللغة، شكل الحكومة، المناخ، وغيرها، كما تضمن وإحصائيات دقيقة الذي كتب عن الجهاد البحري، والضرائب، وعن الوضع الاجتماعي والثقافي

إلى جانب الأسير الألماني سيمون بفايفر، الذي أسر عام 1825، مارس مهنة الطبخ في بيت الخزناجي، وتولى منصب خزندار باي التيطري، استمر أسره مدة خمس سنوات إلى غاية 16 سبتمبر 1830، نشر مذكراته عام 1832 بعنوان رحلاتي وسنوات أسري الخمس في الجزائر، وتعتبر مذكراته من المصادر الهامة في تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي. ونفس الشئ بالنسبة لفندلين شلوصر، الذي كان أسيرا في قصر الحاج أمد باي مدة خمس سنوات، تولى خلالها مناصب عديدة آخرها في المدفعية للدفاع عن مدينة قسنطينة عام 1836 و1837.

كاثكرت: بقي أسيرا ما يقرب إحدى عشر سنة، شاهد عيان للاحداث، المرجع الاول الذي كتب في موضوع العلاقات المغربية الأمريكية، سجلت على شكل يوميات لاحداث وقعت في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، سجلها كاتبها باليوم وأحيانا بساعة وقوعها.(مذكرات ص 4) يقول عنه اسماعيل العربي في مقدمة المترجم، كان بعيدا عن التأثير بالأهواء، والعواطف الشخصية اتسم بالنزاهة والأمانة والموضوعية...(ص 4)لم ينشر مذكراته في حياته، وإنما تولت نشرها ابنته بعد وفاته بنحو نصف قرن.(5)توفي سنة 1843

استنتاج: رغم أهمية المادة العلمية والأخبار التي تحتويها المصادر الغربية حول تاريخ الجزائر الحديث حيث تعتبر مصادر لا غنى عنها للباحث، إلا أنها تعبر عن نظرة الآخر للجزائر، ويجب أن تؤخذ بحذر ولا بد من مقارنتها بالمصادر المحلية لتحري المصداقية والمطابقة للواقع، وغربلتها وتبيان الزيف فيها

2- الكتابات التاريخية الفرنسية

نقصد بها تلك الكتابات الفرنسية التي كتبت حول تاريخ الجزائر بنظرة استعمارية، وتتمثل في تشويه مؤرخي الاستعمار الفرنسي لتاريخ الجزائر الذين نظروا لإنجاح عملية الاحتلال الفرنسي الشامل والتام للجزائر وإبراز الفروق العرقية والجغرافية وزرع الفتن والشقاق. لكن على الرغم من خطورتها إلا انها تحمل معطيات تاريخية لا نجدها في كتابات أخرى، ولذلك علينا التعامل معها بحذر عند توظيفها في الكتابة التاريخية.

وقد مرت المدرسة التاريخية الاستعمارية بمراحل: المرحلة الأولى تمثلت في نشر منذ 1830م كتب الرحلات الأوروبية، الوثائق، وإنشاء الصحف والنشريات فكانت أول جريدة المرشد الجزائري التي كانت تنشر قرارات، إعلانات الرسمية، أخبار المسلمين، حركات الأهالي. تسمى هذه المرحلة بعهد المؤرخين العسكريين 1830-1880م.

المرحلة الثانية عهد المؤرخين الاختصاصيين 1880-1954م

المرحلة الثالثة 1954-1962، تسمى بالكتابات الحديثة

يرى أبو القاسم سعد الله، أن الكتابات المدرسة التاريخية الفرنسية هي كتابات متخصصة، خاصة منها التي تخصصت في المناطق والمدن(المونوغرافات) نجد وصفا مفصلا احيانا للمؤسسات الدينية في كل منطقة وهي الكتب التي ألفها عادة رؤساء المكاتب العربية الذين عملوا في المنطقة طويلا وخبروها، فجمعوا من تقاريرهم مذكراتهم وملاحظاتهم كتبا نشروها، وتضم معلومات خاصة ومفصلة، ومن ذلك الكتب المتعلقة بالزوايا ومساجد زواوة والأوراس، وبعض المناطق الأخرى.

منهج الفرنسين في كتابة تاريخ الجزائر:

الترجمة والدراسات الاجتماعية: حيث كونت جيلا من المترجمين، وهيأت مدارس لتعليم اللغة العربية، هؤلاء انخرطوا في صفوف الجيش الفرنسي. لم تقتصر مهامهم في الترجمة فقط، بل اعداد التقارير وتحريرها، وعملية المسح الاجتماعي لعادات سكان القطر الجزائري ولغاتهم ولهجاتهم ووضعوا في ذلك عدة دراسات. مثل دراسة مسكريه(Masqueray) عدة دراسات اجتماعية لقائل البربر، من بينها معجم عن لهجة الطوارق.

لقد نشر الكثير من المؤلفات حول ثقافة المجتمع الجزائري بين 1830–1900 مستندة على النظريات التاريخية والأنثروبولوجية السائدة في ذلك الزمن من أجل استغلالها في ضرب المقاومة الجزائرية. ركزت هذه الدراسات على المعتقدات الروحية والعادات والطقوس والممارسات والمرابطين والتصوف ، الخ.

البحث في الآثار السالفة، وإنشاء اللجان العلمية، وتكوين الجمعيات المختصة والصحف والدوريات: نذكر الجمعية الفرنسية لنشر المخطوطات الشرقية سنة 1787، والجمعية الفرنسية الآسيوية سنة 1822. جمعي قسنطينة للآثار التي نشأت سنة 1852 وكان من بين أعضائها البرون بواسوني والمستشرق شابوني اهتمت بالدراسات الإسلامية. الجمعية التاريخية الجزائرية سنة 1856 باقتراح من المستشرق أدريان بربريجير حيث جاء في قانونها التأسيسي: (إن الجمعية التاريخية الجزائرية تقصد من كلمة التاريخ مجاله الواسع الذي يحتوي على دراسات الأشخاص، والحوادث، والنصب التذكارية ودراسة الأرض ذاتها التي ترتبط بها. وبالتالي فهي تهتم بالتاريخ بالمعنى الصحيح بالجغرافية واللغات والفنون والعلوم). كما تأسست في مدينة عنابة سنة 1863 شركة بونة للآثار، وفي سنة 1878 ظهرت الشركة الجغرافية والأثرية بمدينة وهران.

الاهتمام بالمخطوطات: قامت الدوائر المتخصصة بجمع المخطوطات ترجمة وتحقيقا، للتراث الجزائري المكتوب.

انشاء المجلات المتخصصة: أهمها المجلة الإفريقية ظهرت سنة 1856 إلى غاية 1956، نشرت العديد من المقالات والدراسات والوثائق، اهتمت بالآثار والأماكن التاريخية وتراجم بعض الرجال والعلماء والمشاهير ، فأعطت للآثار الرومانية في بلادنا مكانا خاصا إذ كان يراسلها كل الضباط العسكريين الموزعين في مختلف النواحي من الجزائر، وكانوا يقومون بالحفريات وجمع الأشياء الأثرية والشعر والغناء والمحفوظات العربية والبربرية...إلى جانب حولية قسنطينة التاريخية والأثرية سنة 1852، ونشرة وهران الجغرافية والأثرية سنة 1878.

دوافع البحث في تاريخ الجزائر: انطلاقا من فكرة شعب متحضر حكموا شعب متخلف، والتاريخ يكتبه المنتصر، فجاءت الرغبة في التعرف على خصائص هذا المجتمع بدافع السيطرة،

استعانة الفرنسيين بكتاب جزائريين: العنتري، ابن المبارك، الحفناوي وابن أبي شنب

الفضول العلمي الدافع الديني، وخدمة للأهداف العسكرية والسياسية المسطرة قصد الاحتلال التام للبلاد

خصائص الكتابات الغربية: تشويه تاريخ الجزائر، تشويه الدين الإسلامي(يؤثر الاسلام على مستقبل الاستعمار الفرنسي في الجزائر)، القيام بأعمال الجوسسة

استخدام علم الأنثروبولوجيا لخدمة أغراض استعمارية

التنظير للاستعمار وتقديم النصح.